

# حياة رؤوف



By :Enas Samy

# فقاقيع

# نوفيللا فقاقيع

بقلم  
حياة رؤوف

غلاف

إيناس سامي

قالب داخلي

حياة رؤوف

3

حياة رؤوف

فقاقيع

# تنسيق وتدقيق لغوي رودينا الشناوي

شخايط وردية للنشر الإلكتروني

## • تحذير •

النوفيللا لا تمّت لطريقة حياة الصعيد أو  
الأعراف بصلة  
هي فقط للاستمتاع

## الفصل الأول

تأتي الرياح و تذهب دون سفن  
ف ما عاد الوقت يسمح للأمنيات  
و تأتي الغيمة بالمطر  
ف حان موعد الخيرات  
الأمل نطفة ولادة اليأس  
ف هل ستكون الولادة متعسرة أم طبيعية  
مُريحة  
أو المخدر الجزئي هو المُنفرد بالوضع

ف تشعر بما تريد و لا تشعر بما لا يريدك  
أن تشعر به

الأمر مُحدد .. فقاقيع

فقاعات

مسميات عدة لا تُثير اهتمامنا الآن

و ما يحتاج للتعريف هو طبقاتنا

فقاعة الأمل و فقاعة اليأس و فقاعة الحب

و فقاعة الإعجاب و فقاعة الكره

مستويات .. لا نحدد مدى صعودها

و لكننا نستطيع تفجيرها ..

النيل من كل اتجاه يحاوط ذلك المركب  
الكامن على رصيف الانتظار كإخوته

" يابو العيون السود يا خلي .. خليك  
على كيفك تملي "

صدح المذيع بجانب ذلك العجوز الجالس  
علي أريكة المركب بابتسامة أنارت  
سما لونه

: يا عم سرحان إمتى تفوق من سرحانك

مازح بها شاب قادم بابتسامة تجعلك تشعر  
بهدوء المكان حولك

و آثار الشمس وضعت نفسها فوق بشرته  
و لمعة عينيه السوداء ظهرت كالنجوم  
الخبلة

و ضحك العجوز ينظر له ويربت بجانبه  
كدعوة للجلوس

: تعال يا سليمان

اقترب سليمان وهو يرفع أطراف عبائته  
البيضاء جالساً بجانبه بضحكات يربت  
على قدم سرحان بابتسامة

: إيه يا راجل يا طيب.. قافل المركب  
ليه

نظر سرحان للنيل و أمواجه الهادئة بـ  
ابتسامة

: عندينا النيل ليه حق علينا ذي الركاب..  
بيحتاجنا نسرح معاه شوي

رفع سليمان عينيه إلى شرفة ملونة بـ عدة  
ألوان دافئة و الورود شكّلت حولها كـ  
مسرح لـ حلوى لم تتضج بعد

و تقف هي في المنتصف ترتشف الشاي  
الساخن في يديها ناظرة أمامها دون  
تحرك

حجابها يغطي رأسها بعشوائية فتمردت  
بعض الخصلات السوداء من أسفله  
و عينيها شعاع شمس حارق تقابل مع  
السماء الصافية

ف أصبحت لوحة تحتاج إلى ونيس!  
: يا وعدك يا سليمان يا هلاكك يا سليمان  
أجفل على يد سرحان التي تربت علي  
يديه دافعة إياه

: بلاش قلة حيا يا ولدي قوم اعمل الشاي  
قوم خلينا نتمزج



لـ يخجل سليمان وهو يدلك خصلاته من  
الخلف بحياء مبتسم فظهرت تلك النغزة  
في أيمن ثغره تعطيه جاذبية خاصة  
ونهض مسرعاً يعد الشاي تاركاً صاحبة  
الخصلات المتمردة شاردة

---

---

" أول دخولنا الجنينة عيط الياسمين يا  
لالالي

والسيسبان اشتكى الورد قال ده مين يا  
لالالي

# قال الغنبي افتحوا ذا العاشق المسكين يا لالالي "

تميزت البيوت في النوبة بـ طريقتها على  
جذب انتباه حزنك ف تجعل منك مبتهجاً  
دون إرادة

بيت صغير دافئ احتوى على عدة ألوان  
حارة و كسرهم لون الأزرق البارد  
فأصبح المنزل دافئ.. عفوي

دلفت من الشرفة بخطوات بطيئة تتحسس  
طريقها بـ يد و اليد الأخرى تخلع عنها  
حجابها

سمراء هي مع لسعة شمس أعطتها لون  
برونزي داكن

و صوت والدتها تغضب: بت يا شامة  
عيب كدا

و شقيقتها العنيدة تُصرح بـ عدم رضاها  
عن ما حدث

: أنا قولتلك مش عايزة يبقى لنا علاقة  
بيه..

فتنهدت والدتها تنظر إلى الدالفة من  
الشرفة ببطء فاقتربت منها تمسك يدها  
تذهب بها إلى أقرب مقعد

وابتسمت ريحانة في أحضان والدتها  
مُنيرة تربت على يدها بمساندة  
قبل أن تُشير إلى جانبها هاتفة برقة: تعالي  
يا شامة نتكلم شوية

زفرت شامة تقترب من مجلس شقيقتها  
على تلك الأريكة الملونة

لتنحسس ريحانة الهواء بحثاً عن يد  
شقيقتها فاقتربت شامة تمسكها بحنية  
مبتسمة

: رضا الأب من رضا الرب يا شامة  
او عي تنسي دا



نظرت شامة أمامها بصمت دون رد  
وعقلها وضع سيناريوهات الحقد و  
الغضب على من تبغض وجوده

والدها و والدتها مطلقان

ومع إلقاء أبيهم لهن منذ صغرهن إلا أنه  
عندما عاد يطلب الوصال وافقوا ب طيبة  
تربية والدتهن لهن

إلا شامة التي ترفض أي تواصل معه

حتى و إن أتى لها بنجوم السماء

شدت ريحانة على يديها برقة حازمة

: اللي حصل زمان مالناش يد نصلحه بس

اللي بيحصل دلوقتي نقدر نغيره

ربتت على يديها بـ هدوء تنهض  
: تعالي نلبس وننزل نتمشى على النيل و  
نسلم على عم سرحان  
نهضت شامة تسندها بـ تمتمة موافقة على  
اقتراح أختها  
ثم ابتدأوا يرتدون ملابسهم

---

---

" دول عايروني و قالولي يا اسمر اللون  
يا لالالي، صحيح انا اسمر وكل البيض  
يحبوني "

: هيلة

نظرت فتاة صاحبة خصلات قصيرة  
مجعدة إلى المتحدث

فقاعة الإعجاب تطفو في الأرجاء بحثاً  
عن شوكة تظهر لها مدى يقينها

هل تنفجر أم يكون للرياح رأيٌ آخر

نظرت بلمعة عين متسائلة عن ما يريدون  
.. عدلت من حقيبة ظهرها بملل

: رايحة فين؟ .. مش هتخرجي معانا!

رفعت هيلة كتفاها دون اهتمام قائلة

: مريمية قولتلك قبل كدا و بقولها تاني..  
ابعدي عني أنا مش هنفع الجو بتاعكوا..  
مش هتستفادوا مني!

أعطتهم ظهرها ذاهبة وهي تخرج من  
مدرستها الثانوية و نظرت مريمية إلى  
ظهرها بغیظ

تلك الفتاة التي ترى العالم لا شيء  
لا يكفيها سوى غرور و هي سمراء تكاد  
تكون قبيحة سوى جسدها و عينيها!  
و عينيها التقت بـ عينين بنية خبيثة  
بينما هيلة تبتسم وهي تسير على طريق  
العودة إلى بيتها بـ هدوء يناسب شقاوتها

رأت العالم لا يحبذ ملامحها ف اكتفت  
بخيالها الذي يسع كل ما تحبه  
العالم لا يحتاج بشر و البشر لا يحتاجون  
مبرر

و المبرر لا يحتاج غلطة  
قوانينها تناسب عقلها  
واحد جمع واحد يساوي واحد

---

---

" يا عود قرنفل ما بين الفل حطوني يا  
لالالي "

:احنا نازلين نتمشى يا ماما

هتفت بها شامة وهي تسحب أختها ببطء  
و حجابهن يزين وجوههن و أخذوا  
يهبطون الدرج ببطء

وهناك في المركب كاد أن يرتشف الشاي  
ليتسمر مكانه مع لفحة الهواء التي طيرت  
حجاب الحسناء

: ست ريحانة و ست شامة يا هلا يا هلا  
هتف بها سرحان الذي رآهم يقتربون من  
مجلسهم و عين سليمان لم تسقط من فوق  
تلك التي تستند على شقيقتها و ابتسامتها  
تزين ثغرها



نسيم الهواء في بسمتها و شمسه الحارقة  
حبها

نوبية هي و تشبه بلدتها

حبه هي و يحرم فراقها

:يا ولدي الشاي

ز عق بها سرحان ليوظ التائه ليجفل

سليمان و هو يقفز مبتسماً

و حركته المعتادة على رأسه يدلك

خصلاته بخجل

و همس شامة الخبيثة في أذن أختها

:الراجل مش مصدق نفسه إن في بنات..

واخذ على الخناشير

ضحكت ريحانة بدهشة دون إرادة و  
راقبها هو بفضول يأكله  
رائحتها نيلية أصيلة و عروق يدها بارزة  
بطريقة مغرية

ضحكتها

يدها التي وضعتها على فمها خجلاً من  
صوتها

: يا وعدك يا سليمان

همس بها وهو يشد خصلاته زافراً  
ثم وضع المياه الساخنة في الأكواب  
صانعاً الشاي الخاص بهم

اقترب من مجلسهم مرة أخرى يعطيهم  
أكوابهم

واستمع إلى آخر حديث يبغضه

: شامة يا بنتي الأب مايتعوضش مهما  
كان مايتعاشرش

ثم جلس و كاد أن يرتشف كوبه ليجد يد  
تسحبها منه

: وه وه هتشربوا شاي من غيري والله  
عيب

هتفت بها هيلة بمرح ترتشف الشاي التي  
أخذته من سليمان و الآخر ضرب رأسها  
غيطاً

: قوم يا ولدي اعملك غيره

و سليمان بيتسم هاتفاً: ما نجيب أكل يا عم  
سرحان و نجيب ست مُنيرة و عم مرجان  
كمان

ل تقفز هيلة صارخة

: وسهرة بصوت سليمان الأسمر

ليضحكوا جميعاً يحيوه و بيتسم هو بخجل  
كعاداته و تلك الحركة التي تلازمه كلما  
خجل مدلكاً خلف رأسه

فقاعة الحب دفعت الإعجاب بعيداً عن  
طريقها لتطفو فوق ذلك الفتى الذي أخذ  
الطبلّة الفخار في يديه جالساً

الليل أتى بلمعاته الباسمة و الأنوار  
الملونة حول المركب أعطتها مظهر  
الأعراس

و جلس سرحان بعباءة بيضاء أسفلها  
البنطال الواسع نفس اللون  
بجانبه جلس مرجان رجل قمحي البشرة  
يشبه سنابل القمح في وضح النهار مع  
لون شعره الأشقر

و منيرة بيناتها جانب بعضهن سوى هيلة  
التي جلست بجانب سليمان في المنتصف  
مع طبلته

ليلة هواءها ينعش القلب

تلك المنطقة من ضواحي النوبة اكتفى  
سكانها ببعضهم

فأصبحوا عائلة لم يولدوا سوياً

: سمعنا يا سليمان

قالها مرجان وهو يبتسم مستنداً على حافة  
المركب براحة

و ابتسم الشاب و عينيه على يديه التي  
تدور فوق الطبلية

: **يوو شمندورة منجنا بهر جاسكو**

**مينجنا سجري مالا واينا مورتنا نا واينا**

هتف بها بصوت خافت و دقات الطبلية  
بطيئة بين يديه

و ابتسم مَن حوله بشرود ينظرون للنيل  
ع الشط استني رايحة فين، دانا ليكي  
بغنى غنوتين

و قابله رد هيلة بصوت عزب  
:غنوة عن الآهة و الحنين

ليبتسم مقابلاً إياها بالتكملة

: و غنوة لعنيكي يا حنين

ليصدح صوتهم سوياً مع موج النيل و  
طرقات الطبلّة بين يد سليمان

: آه يا شمندورة لابسة توب، يا أجمل من  
الصورة دوب يا دوب

لتنظر شامة بابتسامة للجميع و تشير لهم  
بالغناء معاً مع علو صوت الطبلّة

**: يا أسمر يا سمارة دوبت دوب، يا  
عيون قدارة علي القلوب**

صمتوا ليصدح صوت سليمان بخفوت  
مكلاً

**: آه يا شمندورة صبري طال، ردي  
وجاوبيني على السؤال**

يخصها

تشعر به

فتبتسم خجلة و هي لا ترى حتى من ينظر  
ومن لا ينظر

لا تشعر سوى بعينيه التي عليها  
والتي لا تراها

---

---

## الفصل الثاني

" اطلبني و اتمني لو مُحال، من العين و  
النني يا غزال "

استيقظت هيلة في الصباح بثقل إثر سهرة  
الأمس و التي لم تتل بسببها كفايتها من  
النوم

دخلت إلى المرحاض تؤدي روتينها  
الصباحي

ثم انتهت من ارتداء ملابسها المدرسية  
ذاهبة

خرجت من غرفتها و قابلها حديث أختها  
ريحانة مع أصدقائها العصافير في  
الشرفة

فاقتربت من ظهرها تحتضنها مبتسمة

: جود مورنينج شاهندا

ضحكت ريحانة ترد الصباح بإشراق:

جود مورنينج بكيزة هانم

لتستند هيلة علي السور عاقدة يديها وهي

تتنظر للنيل أمامها ب عيون لامعة

لتتحدث بعقدة حاجبين: شامة عملت إيه

مع بابا!؟



و تنهيدة ريحانة أخرجت ثقل تحمله دون  
إرادة

علاقة أبيها المتجددة و شامة الرفض  
الخطأ يظل خطأ ولكن يستحق التصليح  
الأشياء القديمة و إن أعطيناها بعض  
اهتمامنا عادت لامعة

ك الألعاب القديمة التي نتفاجأ بتشغيلها إن  
هزناها قليلاً

و لكن .. شامة و علاقتها بأبيها ليست  
لعبة

أو ربما شامة هي من تستحق الدفعة!

: مش كل حاجة الإنسان بيتمناها بتتحقق  
يا ريحانة

تحسست ريحانة طريقها لتجلس على  
المقعد في الشرفة بصمت قبل أن تتمتم  
بخفوت

: شامة أمنيتها مخالفة لقوانين تربيتنا و  
الدين

: و بابا أمنيته مش هتتحقق إلا لما يدفع  
حق القديم.. بابا مينفعش يطلب دين وهو  
مسددش الديون اللي فانت يا ريحانة  
زفرت ريحانة وهي تتكلم بعصبية

: إحننا مين عشان نحاسبه.. اللي بيحاسب  
ربنا و ربنا طلب منا الطاعة

وابتسمت هيلة وهي تجثو أمام ريحانة  
تمسك بيديها برقة تدلكها لتجعلها تهدأ

لتدمع عين ريحانة دون إرادة وهي تتمتم

: أنا خايفة عليها.. عقوق الوالدين الحاجة

الوحيدة اللي بنشوف عقابها دنيا و آخرة

نهضت هيلة تقبل رأسها هامسة: مش كل

حاجة بالدين هتتحل يا ريحانة.. شوية

منطق و جمود يستاهلوا يتواجدوا و دا

اللي حاولت أقوله لماما كتير

ثم تركتها ذاهبة إلى طريقها دون إضافة

بينما ريحانة عادت للخلف مستندة بشروود

ظلام عينيها جعلها تعيش في نورها

الخاص و لم تجرب عتمة العالم بعد

ربما لذلك أمورها بسيطة دون تعقيد

لأنها لم تختلط بالعالم !

عالمها احتوى والدتها وأخواتها

و عم سرحان و عم إدريس و..

سليمان !

الذي يقف عند المركب يراقبها كعادته و

كعادتها لا تراه

سارت هيلة في الطريق الأصفر الذي  
تعشقه تراقب البيوت الملونة و ابتسامة  
العواجيز لبعضهم

ضحكات الأطفال الذين يحبون  
ولمعة عينيهم التي تضوي سمار بشرتهم  
أجفلت على دفعة في كتفها لتعود للخلف  
بألم تذاك ناظرة للمصطدم بها

: في إيه يا يامن ما تفتح  
قالتها بغیظ إثر ألم كتفها ليبتسم الآخر  
معتذراً

: آسف يا هیل شوفتك سر حانة ما قدرتش  
أمسك نفسي

لتعقد يديها غيظاً من لقبه الأحمق لها  
وعينيها دون إرادة تجولت عليه  
لم يكن بحجمهم الرفيع العادي.. ولم يكن  
ضخم

بعض العضلات تبرز منه و بشرته  
الفاتحة عن باقي البلدة

يامن ابن العم السرحان

: هيل في عينك.. ومش هقولك حمد الله  
علي السلامة

ثم تركته ذاهبة ليهتف من خلفها بابتسامة  
: و أنا مش هقولك الله يسلمك

فابتسمت وهي تسير دون النظر له  
وعرف هو أنها توردت الآن من رجوعه  
تلك الصغيرة.. جحيمة الخاص  
أكمل طريقه إلى المنزل وجده مغلق ليعلم  
أن أبيه بات ليلته في مركبه  
فوضع حقيبته وهو يهرع إلى مجلس أبيه  
و الذي ما إن راه سليمان قفز من وقفته  
إليه مهلاً

: يا مرحب يا مرحب بـ ولد العم  
فضحك يامن يضمه وعينيه لم تسقط من  
فوق أبيه النائم

اشتاق له و من لا يشتاق للعم سرحان

اقترب منه يجثو بجانب نومته ليهمس  
: عم سرحان.. ابنك وصل يا عم سرحان

و سرحان يعطيه ظهره دون حديث

العم سرحان ساخطاً الآن

: وه يا بوي بتعطيني ضهرك

حادثه بلهجته التي يحبها لينهض سرحان  
هاتفاً: واعطيك بالكف كمان يابن فاطمة

: دلوق بجيت بن فاطمة!

قالها يامن بسخط جعل أبيه يضحك ضاماً

إياه و سليمان يقف بعيد مبتسم

كلما تأخر يامن في المدينة كلما سخط

سرحان

يشبهون الأصدقاء وليس مجرد أب و  
ابنه

منذ وفاة والدته و أفنى العم سرحان عمره  
في تربية يامن حتى جعله مهندساً في  
إحدى الشركات المرموقة في القاهرة  
و كان يامن خير الابن البار بأبيه فأعطاه  
حصاد ما زرعه و فاض

ربما هذا ما يجعل الود بين بعض  
العائلات

الأخذ والعطاء

سرحان أفنى عمره في تربية يامن و يامن  
أفنى مجهوده في رد الدين

و الاثنان استفادا !

مستقبل مُبهر و مُشرق لشاب يتمنى الكثير  
التواجد مكانه و فخر أب بما زرعه من  
سنوات

فقاعة الواجب شاردة.. لا تحبذ الجموع  
فيطفو خلفها الحق مانعاً عنها فرصة  
الانفراد

فتعود بأدراجها إلى باقي الفقاعات غائصة  
بينهم



وصلت هيلة إلى مدرستها بوجه بشوش  
كعادتها تبسم لتلك و تناغش تلك  
تفرض حلاوة روحها بين الجميع  
: يوه خضيتيني يا مريمية.. بتطلي زي  
عفريت العلبة ليه كدا!

كادت مريمية أن تتحدث ليقاطعها صوت  
من حلف هيلة عابثاً

: ما أنا مش عارف أوقفك من ساعة ما  
جيتي

لـ تنظر هيلة خلفها بعقدة حاجبين ثم تعو  
بنظرها إلى مريمية بتساؤل  
قبل أن يكمل صاحب الصوت

: لازم أتكلم معاكي حتى لو رفضتي  
لترفع هيلة حاجبها ب استغراب متممة

: أنت أهبل؟

عقد حاجبيه بتساؤل لتكمل: أو متخلف!!  
و كادت أن تذهب لتجده يجذبها من يديها  
و قبل أن يعي شيئاً كانت يديها تسقط على  
وجهه ب صفة جعلت الواقفين يشهقون  
نظر لها بغضب ليجد عينيها بلهيب النار  
تهتف بعصية

: إياك ثم إياك تمد إيدك ناحيتي تاني وإلا  
بالله هخليك خيشة يتمسح بيك المدرسة يا  
مصطفى

و قبل أن يرد كرامته كانت المديرة فوق  
رأسهم تطالبهم بالذهاب إلى غرفتها

فزفرت هيلة وهي تسير و الآخر عينيه  
تريد قتلها عن ما فعلته به

حذروه منها و لم يسمع

و حذروها من اندفاعها ولم تهتم

: ممكن أفهم إيه اللي حصل دا؟

هدرت بها المديرة وهي تنظر لهم

بعصبية لـ تتنفس هيلة بصوت مسموع

قبل أن تتكلم بتأني

: أنا كنت واقفة بتكلم مع مريمية لقيتو

جاي من ورايا بيقولي عايز أكلّمك و لما

سيبته ومشيت مسك إيدي روحت ضرباه  
بالقلم

نظرت المديره إليه شذراً هاتفة: أنت  
عملت كدا؟

أوما مصطفى بصمت دون حديث مما  
جعل هيلة تتوجس لهدوئه ولكنها ركزت  
مع المديره وهي تهتف: بس طبعاً مد  
إيدك عليه غلط كبير يا هيلة و هكتفي  
برفدك أسبوع أنتي و هو عقاب.. وبعد  
كدا أي شكوى أنا اللي أعرفها مش  
حضرتك تتصرفي ذي الشحات مبروك!  
زفرت هيلة تومئ معتذرة: أنا أسفة

لتومئ المديرية ناظرة لهم بهدوء: انتوا  
أخوات ماينفعلش دي تبقي علاقتكوا..  
فاهمين؟

أوما الأثنان دون رد و بعد أخذهم لجواب  
رفدهم طلبت الحديث مع أولياء الأمور ثم  
ذهبوا

وبعد خروجهم من غرفة المديرية أسرع  
مصطفى في خطواته ذاهباً  
و راقبت هي رحيله بصمت و بعض الندم  
علي ما فعلته يتسرب لها  
الندم بذرة الخطأ و الحصاد يافع السنابل

## الفصل الثالث

وقفت ريحانة في المطبخ بجانب والدتها  
يتحدثون في أشياء عديدة

و توصلوا إلى مغزى حديث يحتاجونه  
: يهمني حضرتك يا ماما.. قلبك بيقولك  
إيه ؟

قالتها ريحانة بنسائم الرياح التي تربط  
علي قلوبهم جميعاً

و قابلها رد والدتها بتهيدة

: مهما كان وحش.. هتفضلوا عياله  
وهيحبكم.. مالكوش أي دخل في اللي بينا  
: لا لينا إحنا مش صغيرين و أنا لسه مش  
موافقة ولا هوافق

هدرت بها شامة فجأة لتجفل ريحانة  
ومُنيرة التي هتفت: بسم الله الحفيظ أنتي  
جيتي إمتى !

عقدت شامة يديها ناظرة لهم بجمود: من  
أول رأيك ايه يا ماما  
و تُقلد ريحانة بغیظ لتبتسم الأخيرة  
صامته

وزفرت شامة مع لمعة حزن والدتها

نقطة ضعفهن جميعاً

والدتهن

أضحية سوء اختيار و كانوا هن النتيجة  
التعويضية لها

: هقابه يا ماما.. حاضر

احتضنتها منيرة براحة و ريحانة مازالت  
على ابتسامتها هادئة

فقاعة الرضا قفزت فوق السخط دافعة  
إياها لتطفو فوق مجلسها بغرور

النظر بعين من أكثر خبرة نجاهة من حفر  
لا نراها ولكنها ستعركلنا دون إرادة

و رنين جرس الباب تعالى في المنزل  
فذهبت شامة لتفتحه لـ تجد سليمان واقفاً  
بخجله المعتاد

: إزيك يا سليمان

: بخير طول ما انتي بخير يا ست شامة..

عم سرحان عازمكم على الغدا اليوم

حلاوة رجوع يامن

ابتسمت شامة تومئ

: عنينا هقول لماما و نحصلك

ابتسم لها ذاهباً رغم عينية التي أرادت أن

تلمح حسنااه

و لكن..



: استحي يا سليمان.. حُرمة البيت  
جملة سرحان ترن داخل عقله دائماً  
و سيجعلها حرمة قريباً  
بينما شامة دلفت للمطبخ مرة أخرى  
تخبرهن بما قاله سليمان  
لتهتف ريحانة بسعادة: يا فرحتك يا عم  
سرحان.. كل مرة يعود فيها يامن بيكون  
عيد في الضواحي  
ضحكت مُنيرة علي سعادة ابنتها لسعادة  
سرحان  
و أكملوا حديثهم بهدوء يناسب جو المنزل  
الهادئ

" آه يا أسمراني اللون حبيبي يا أسمراني  
يا عيوني نسياني عيون حبيبي  
الأسمراني "

قضت يومها الدراسي في توتر و حزن  
من فعلتها

حيث أصبحت المدرسة جميعها تتحدث  
عن فعلة هيلة

بـ مصطفى

والدتها دائماً تخبرهن عن قيمة كرامة  
الرجال

و يبدو أنها مَحْتها لدى مصطفى  
تسير في الطريق بشرود تنظر للحصوات  
و تلقيها بقدمها بطفولية  
لاحظت قدم واقفة فرفعت عينيها لتجده  
مصطفى  
ابتلعت ريقها و جمدت ملامحها ناظرة له  
وهو عينية حسناً  
توجه نحوها شرارات غضب  
و الحق يقال هي خائفة عليه لا منه  
ف هو في النوبة و الجميع يعرف بعضهم  
و الجميع في حمى بعضهم!

: هيلة

صوت يامن أخرجها من أفكارها و  
مصطفى ينظر بجمود لها ثم لمن نادى  
عليها خلفها

: بيتعرضك ؟

قالها يامن واقفاً بجانبها لتتنظر له قليلاً ثم  
نظرت إلى مصطفى لتجده يريد أن ينقض  
عليها حرفياً و قبل أن تعي شيء أو تقول  
كان جسد يامن أمامها حائلاً بينها وبين  
مصطفى يهتف

: عينك في الأرض يا بني أنت

و الموقف لا يناسب ولكن ابتسمت

يامن بكل تحركاته يجعلها تبتسم  
وهمست في داخلها بهيام: يا ترى هيبقي  
حمش كدا معايا لما يتجوزني؟  
انتفضت على صوتهم العالي لتلاحظ أن  
هناك نقاش حاد بينهم  
وعلى أثره عرف يامن بما فعلته  
و قبل أن ينظر لها و يوبخها هتفت ببرود:  
طب ما تقوله أنت عملت إيه خلاني  
السعك بقلم صفر و دنك  
توسعت عين يامن من جملتها و مصطفى  
ابتلع ريقه  
وهتافها: مسك إيدي يا أبيه يامن

و حسناً

هي لم ترى يامن

أو مصطفى

هي رأت رجل الغاب يحاول الوصول إلى

طعام هارب

فمصطفى هرع هارباً

و يامن عاد ينهج ناظراً لها بشرارة عينيه

الغاضبة لتهدف

: إيه وأنا مالي هو..

قاطعها: أنا أبيه؟

نظرت له بمشاكسة وهي تسير تاركة إياه

: أبيه يامن

و ترك لقدمه الريح خلفها لتهرع صارخة

تُنادي على العم سرحان أو مرجان

أي أحدٍ ينقذها من يامن

: مش هسيبك النهاردة هسلخك زي

المعزة

و تجري هي حتى لمحت مركب العم

سرحان

: صبّح صبّح ياعم الحج

و قفزت داخل المركب صارخة

: يا عم سرحان ابنك عايز يضربني

وقف يامن أمامها بغضب

وهي تختبئ خلف العم سرحان  
ليسأل الأخير بتفاجؤ: وه يا ولدي إيه اللي  
حُصِّل

و كلمة يامن: أنا هخطب البت دي قبل ما  
امشي يا بوي

و توسعت عينيها بتفاجؤ قبل أن تتورد  
خجلاً قافزة على مركب أخرى و جرت  
إلى منزلهم

ليضحك سرحان وهو يجلس  
: هيلة زينة.. بنات مُنيرة زينة البنات يا  
ولدي



ليجلس يامن بجانبه مصفراً برضاً عن  
خجلها

: هيلة زينة جلبي يا بوي

و سليمان قفز هاتفاً: و أنا عايز ريحانة  
تبقي زينة جلبي أنا كمان

ليضحك يامن ناهضاً يربت على ظهر  
سليمان: نخطبها لك يا سليمان

و حديث مرجان القادم خلفهم: جوزوني  
معاكم

: تعالي يا راجل يا عجوز اقعد

قالها سرحان بخبت جعل مرجان يقلب  
عينيه جالساً

و أخذ يامن سليمان معه إلى آخر المركب  
جالسين أمام النيل  
يتحدثون

: و أنت هتقدر معاها يا سليمان؟ .. أوعى  
تنسي لو زعلتها أبوي قبل مني هيبقي  
واقف قصادك

أوما سليمان مبتسماً يدلك خلف رأسه  
: مش هخليها تحتاج لحد حتى ليا..

ابتسم يامن مرتباً علي ظهر سليمان الذي  
دار بوجهه نحو شرفتها ليجدها واقفة  
وبجانبها شامة و هيلة التي تتحدث  
بهوجائية

و نظرت الأخيرة نحوهم لتجد يامن  
مبتسماً غامزاً لها بوقاحة جعلتها تدلف  
لداخل منزلهم تضرب الأرض  
و شامة سحبت ريحانة دالفة هي الأخرى  
ساعتين و سيهبطون للغذاء  
ساعتين و ستصبح ملكيته  
إن وافقت

---

: دا انتي هتموتي عليه يا هيلة  
قالتها شامة بخبت وهي ترتدي ملابسها

و هيلة تجلس علي الفراش تأكل أظافرها  
بغیظ تنظر لشقیقتها و مع جملةها نظرت  
لریحانة بجانبها

: شوفتي شو ووفتي بتقول ابيه  
هتفضحني

و اصطنعت البكاء ترمي نفسها داخل  
أحضان ریحانة التي ضحكت دون إرادة  
تهدهدها تؤنب شامة

و الأخيرة تراقصت أمام المرأة  
: هيلة ليامن و يامن لهيلة.. يا عصفورة..



وكادت أن تخرّب أغنية فيروز لتجد  
الوسادة في وجهها بغیظ و هیلة تصرخ:  
هقتلك

و قفزت علیها لتصرخ شامة بفرع واقعة  
ارضاً و هیلة فوقها تنتف خصلاتها بغیظ  
حتى أتت والدتهن علي صوتهن

لتتصدم بما حل بالغرفة

: شامة هیلة إیه اللي بتعملوه دا

لتقول ریحانة بمسكنة: حقيقي بقوا فظاع  
یا ماما

لینظروا الاثنتين لها ووالدتهن تأخذها  
برقة هاتفة: سيبك منهم المصعورين دول

لتدفع شامة هيلة من فوقها جالسين ارضاً  
هاتفين: شوفي البت!!

فقاعة السعادة تشبه البلورة الزجاج داخلها  
تظهر مائدة طويلة أمام النيل و يجلس  
حولها عائلة دون شجرة

غصون دون جذور

أختاروا بعضهم دون غيرهم

: رضا الله عليكي يا بتي.. الأب رضاه

مهم

قالها سرحان وهو يأكل محادثاً شامة التي

هتفت: ربنا يعفو عنا يا عم سرحان

و أمّن الجميع علي دعائها  
و سليمان يأكل ببطء ناظراً لريحانة التي  
تتصرف بخبث مع هيلة  
تلك أول مرة يراها مشاكسة  
كانت دائماً نسمة مرطبة

: عمة منيرة بما إننا متجمعين ف

: مش وقته يا ولدي إحنا بناكل

لتهتف منيرة بحنان: وماله ياعم سرحان  
سيبه.. قول يا يامن

سعلت هيلة دون إرادة و انفجرت شامة  
ضحكاً و ابتسمت ريحانة تضم شقيقتها

و تحدث يامن بابتسامة: عايز اخطب اللي  
بتحتضر دي

و تناست خجلها هاتفة بغیظ: انشالله  
عدويني يا أخي الملافظ سعد

ثم نظرت حولها لتجد عينيهم عليها لتتورد  
ناظرة للارض هاتفة كالأطفال: يووه بقى  
ابتسمت والدتها حيث منذ أتو وهي تعلم  
بعشق يامن لـ ابنتها

لتضمها تهادأها لتجدها تهمس بها:  
متوافقيش يا ماما بالله دا هياكولني بدل  
الغدا

لتضحك والدتها برقة وقبل أن تتحدث

وجدت سليمان يهتف: وأنا عايز أتجوز  
ريحانة مش أخطبها  
لنتصنم ريحانة بصدمة و سليمان يراقب  
ملاحها  
و توترت والدتها ناظرة له  
ليهمس يامن: الذكاء دا نعمة  
و قبل أن يتحدث أي أحد أكمل سليمان  
: أنا شاريها يا ست منيرة.. شاريها و بكل  
اللي تطلبه من الياقوت و المرجان  
ليجدوا العم مرجان يهتف: الله وأنا مالي يا  
لمبي

ليضحك الجمع خارجين من جو التوتر  
الذي خلقه سليمان ليكمل سرحان: الواد دا  
ولدي الثاني يا منيرة وأنتي عارفة تربيته

زين

أومات مُنيرة تنظر للشابين و ابنتيها  
و شامة تشرب مشروبها ناظرة للجميع  
بابتسامة هاتفة: الحمد لله الذي عفانا

و ريحانة في عالم آخر  
هي تُحبه نعم و أن يُحبها هو مُحال

إنها ناقصة

: بس أنا



قاطعها سليمان: في الخطوبة تقولي رأيك  
يا ست البنات.. اديني الفرصة قبل ما  
تقولي لا بسبب مايهمنيش

يعرف ما ستقوله

يحفظها عن ظهر قلب

و تنهدت بتورد خجل تنظر للأرض و  
هيلة وشامة يضموها بسعادة

و صوته صدح يدندن يطرق الطاولة  
ومعه يامن يشاركه

**: طاق طاق طاقيه**

**رن رن يا جرس**

**قلبي راكب ع الفرس**



## والفرس طوح طوح

ليكمل الجميع بسعادة عدا الفتاتين الذين  
غرقوا في خجلهم

: وحببتي عايزة تروح

لكن قلبي في غيابها

ساكن جوه في كتابها

يتعلم أبجدية

---

العصافير في الصباح تُنشد بتصفير  
الاستيقاظ

تنبأ النائم بشروق بعد غروب

و النشاط بعد الخمود  
استيقظ يا عزيزي  
ف لكل خسوف هناك كسوف  
فقاعة تقفز فوق فقاعة و أخرى تجد  
مكانها غير مرحب به فتتفجر مُغرقة ما  
تبقي من فقاعات  
منارات تسقط بأضوائها فوق صفائها  
فيظهر قوس قزح علي شكله المعتاد  
ابتسامه  
ألاحظها أحدكم ؟  
قوس قزح يظهر مشكلاً ابتسامه سحب

فيجعلك تبتسم متفائلاً

قوس قزح بوابة ليوم مليء بالازدهار

استيقظت بعد تلك الليلة بشعور غريب

خطبتها آخر الأسبوع

هي و شقيقتها

حسناً كانت تتوقع جنون يامن ولكن

سليمان

و ريحانة!

كانت مفاجأة للجميع

ارتدت ملابسها و قبلت كل عائلتها آخذة  
بشطيرة الجبن الرومي التي تعشقه ذاهبة  
في طريقها إلى المدرسة وهي تلتهمه بتلذذ

أنقطع بسحب يامن له هارباً يلتهمه أمام  
عينها غامزاً لها

لتنظر له بخجل ذاهبة وحسرة علي  
شطيرتها الغالية

وصلت إلى مدرستها وجدت الجميع ينظر  
لها ولكنها تجاهلت الموضوع لتجد ذلك  
المصطفى آتياً و يعتذر منها على ما بدر  
منه!

فتحت فاهها بدهشة لتجده مبتسماً مبتعداً  
وهاتفه داخلها بحذر: شكله هيستتاني بعد  
المدرسة و يفجرني!

وقفت ريحانة بتوتر في الغرفة تتحدث  
بعشوائية مع العصافير كعادتها  
: هو هيستحمل إني حتى القراءة و الكتابة  
ما يعرفش!

: طب مش ممكن يز هق مني  
وقعت على الفراش تبكي دون إرادة  
سليمان بهجة للضواحي و تشعر بأنها  
ستجعله ينطفئ بمكوته بجانبها  
أخبرها أن تنتظر فترة الخطبة ولكنها لا  
تستطيع أن تتعامل بأريحية  
دلفت والدتها لها لتجدها باكية

فاقتربت منها سريعاً تضمها: بسم الله  
الحفيظ في إيه يا ريحانة!  
لنتكلم ببيكاء شاهقة: هيزهق يا ماما و لو  
حسني مرة بنقصي هموت  
أغمضت والدتها عينيها تضمها بشدة  
ألا تعلم بأنها فكرت في كل تلك الأفكار  
و لكن سليمان طمئنها  
سرحان ربت على قلبها  
أخبرها بأن سليمان أنفاسه من الريحان  
ريحانتها الغالية  
: سليمان يحبك

لتهدر لأول مرة تهدر ريحانة بعصبية  
: بيحب مين يا ماما هيحب عامية!!  
قبضت عليها منيرة في أحضانها هاتفة  
بحزم: انتي مش عيبة يا ريحانة.. هو  
عنده نواقص هتكلمليها زيك بالظبط.. زي  
ما انتي مكملانا هنا.. هو واخذك كسبان  
مش خسران

ابتلعت ريحانة ريقها ببكاء دون إرادة  
هي تعيش ف عالم ليس مظلم  
العمى يُعمي عن الألوان  
و الظلمة لون  
هي تعيش في انعدام لون

في انعدام امتزاج

و تخشى

: ادّيله فرصة و اديّ لنفسك فرصة.. انتي

تستحي تعيشي

قالتها والدتها تقبل رأسها لتذهب ربحانة

في سبات هادئ

ستعطيه الفرصة

و تعطي نفسها الفرص

---

كانت شامة عائدة من عملها لتجد هيلة

تسير غاضبة

نادتها بقلق لتجد نظرات شقيقتها مشتعلة

: هقتل يامن يا شامة هقتله  
و توسعت عين شامة هاتفة  
: هو عمل إيه !

لتصرخ هيلة بغضب دون إرادة و شامة  
أغلقت أذنها

: راح المدرسة و خلى المديرة تعاقب  
مصطفى و المدرسة كلها كانت بتتفرج  
عليها النهاردة عشان الحليوة اللي جريته  
توسعت عين شامة بصدمة من تفكير  
الصغار

و كادت أن تتحدث لتجد هيلة تهتف  
بدهشة: بابا!

نظرت إلى اتجاه نظر هيلة لتجد والدها  
ناصر واقفاً مبتسماً

لتتوتر شامة و هي تذهب جرياً  
ونظرت لها هيلة بقلة حيلة و رحبت بأبيها  
وعندما وصلوا إلى منزلهم وجدت مرجان  
يُنادي

فأخذت أبيها نحو المركب هاتفة

: دا بابا ياعم مرجان

فهتف سرحان بترحاب و أجلسه مُتعرفاً  
عليه

و قال لهيلة

: جولي لوالدتك إنه إهنة يا بتي

أومات ذاهبة سعدت إلى منزلهم لتجد  
شامة تقف بشرود في غرفتها

فحاوطتها باحتضان هادئ

: نديله فرصة يا شامة؟

أومات بتتهد ناظرة للمرأة : ماما مش  
بتقول حاجة غلط

فهنديله زي ما طلبت

---

النهاية ليست بداية حزينة

هي لعبة صعبة الاجتياز

تحتاج إلى بعض الخُبث و المناورة

لـ نصل إلى الوحش!  
هبطت ريحانة و شامة و هيلة  
بينما في الشرفة وقفت مُنيرة تنظر لبناتها  
بقلق  
تعلم أن شامة لم تكن تفعلها سوى بأمرٍ  
واقع  
جلسوا أمام والدهم  
و شامة حاولت بقدر الإمكان الثبات  
يحادثها و ترد ببطء  
حتى وجدت الأريحية في التعامل بسبب  
شقيقاتها

انقضى اليوم معه و مع سرحان و  
مرجان

و يامن و سليمان كانوا هادئين ينظرون  
لهن بابتسامة الانتصار

سنابل العُمر حصادها و فير

جاء الليل و العشاء

و هبطت مُنيرة مُلقية السلام

جلست بين بناتها الذين نظروا لها

بابتسامة يدندنون لها

و هي تضمهم براحة

تلك جائزتها من العالم

و عندما اكتملت الجلسة بعد ذهاب والدهم  
و معرفته بمعاد خطبتهم

و وعد بمجيئه

نظروا إلى سليمان

و هتف بابتسامة

: أقر أنا المذكور أعلاه

الساكن في العنوان إياه

إن الصبر عليا صبر

طعم المر في قلبي فضل

يمرر فيه ولا عمره قدر

يغير حُبك من جواه

ليأتي بعديه يامن سريعاً يهتف بدندنة

: أقر أنا المذكور أعلاه

الساكن في العنوان إياه

بأني سهرت العمر ونس

عشت بكل كياني حرس

وطفت بلاد بـ ناي وجرس

والعاشق بينقط بهواه

و ابتسمت الفتاتان بخجل و ريحانة قلبها

يتنهد بتوتر

و هيلة تبسم بتوسع

و شامة تضم والدتها برقة تقبل وجنتها  
ومرجان و سرحان يرتشفون الشاي  
ناظرين للجميع  
وخلفهم النيل أمواجه هادئة مع الدندنة  
والقمر في المنتصف بينه و بين السحاب  
ك خاتم زواج يعرضه النيل علي السحاب  
طالباً بالرضا

إهداء إلى:

منارة القلب التي تتوسط نين العين  
فـ تُظهر لمعة الحب

تمت بحمد الله  
(٢٠٢١/٧/١٩)